توات الموقع الجغرافي والأهمية التاريخية

د. حوتية محمد
جامعة أدرار

مقدمة:

سنتعرض في هذه المحاضرة للإطار الجغرافي لمنطقة توات وذلك من حيث التسمية والموقع والتضاريس والمناخ والغطاء النباتي دون أن ننسى الوسط البشري وما يتعلق بسكان المنطقة وأنسابهم وتشكيل البنية القبلية وتوزيع السكان وتحديد أماكن الاستقرار.

إن أصل تسمية توات وامتدادهما في نطاق المنطقة الصحراوية من الناحية الجغرافية أدى بهما إلى أن يكونا ضمن نطاق المناخ الصحراوي وقد أنعكس ذلك على النبات والحيوان والمياه هذه العوامل الطبيعية كان لها تأثيرها على الجانب السكاني من حيث العدد وتوزيع السكان على قصور توات وما انجر عن ذلك من تقسيم طبقي داخل المجتمع من شرفاء ومرابطين وعرب وموالي وما نتج عن هذا من نسيج اجتماعي في هذه المناطق كل هذا ما سنتعرف عليه في هذا الفصل.

الإطار الجغرافي: التسمية والموقع.

التضاريس والمناخ والغطاء النباتي.

الوسط البشري: التعريف بسكان المنطقة.

الأنساب وتشكيل البنية القبلية.

توزيع السكان ومناطق الاستقرار.

التسمية والموقع

إقليم توات[1] مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية تؤلف في مجموعها إقليم عبور ما بين سفوح الأطلس الجنوبي وبلاد السودان يحدها من الشمال العرق الغربي وهضبة تادمايت ومن الجنوب هضبة مويدير ويشكل واد الساورة الطريق التجاري لإقليم توات وتقع المنطقة بين خطي طول 4°غرباً إلى 1° شرقاً وبين خطي عرض 26°-30° شمالاً ينقسم إقليم توات إلى ثلاث مناطق متميزة هي: تنجورارين وتوات وتيدكلت.

1- منطقة تينجورارين تقع شمال توات يحيط بها العرق الغربي من جهة الشمال والشمال الشرقي, ومن الجنوب هضبة تادمايت, ومن الشرق الحوض الشرقي لواد الساورة, ويوجد الإقليم في موقع جغرافي متشابه طبوغرافياً باستثناء بعض المنخفضات التي توجد بها القصور والتي تقع في شمال الإقليم ويوجد بالإقليم سبخة تينجورارين الممتدة من الشمال إلى الجنوب وكذلك بعض الأودية الجافة مثل وادي أمقيدن ووادي صالح.

ومن أهم قصور[2] تينجورارين. [3]

- **قصور أوقرروت:** تقع في منخفض وادي أمقيدن على خط واحد يمتد من الشمال إلى الجنوب وتضم أربعة عشر قصراً نذكر منها: أولاد محمود – كبرتن – قصور تنركوك تقع جنوب العرق الغربي وسط الكثبان الرملية وتتكون من خمسة عشر قصراً وتنقسم إلى مجموعتين تبتعدان عن بعضهما البعض حوالي ثلاثين كيلو متراً.

- **القصور الشرقية والغربية:** هي مجموعة قصور تقع على طريق الجزائر ووهران فالشرقية منها تتألف من عشرة قصور أهمها قصر تبلكوزا أما القصور الغربية فهي تشمل خمسة قصور أهمها قصر سيدي منصور.

- **قصور تبلكوزة:** لا يوجد بها نظام الفقارات تتميز بقرب مياهها الجوفية من السطح حيث توجد المياه على عمق أربعة أمتار وهذا ما شجع على حفر العديد من الآبار.

- **قصور أجريفت:** تقع في سبخة تينجورارين وتضم خمسة عشر قصراً متقاربة المسافة فيما بينها ويمثل قصر الحاج قلمان أهم قصورها من حيث عدد السكان والنشاط التجاري ويقع على بعد ستة وثلاثين كيلو متراً جنوب غرب تبلكوزة.[4]

- **قصور تيميمون**[5] تظهر في الضفة الجنوبية لسبخة تيميمون وهي أهم مجموعة من قصور تينجورارين تضم سبعة وعشرين قصراً متقاربة فيما بينها تبعد عن تيميمون بأربعة وعشرين كيلو متراً وهي جنوب قصر الحاج قلمان وتنطلق منها العديد من المسالك باتجاه المنيعة تبلكوزة, أولاد سعيد, تيديكلت, توات الحنة, تسابيت.

---

[1] كلمة توات ورد ذكرها في بعض المصادر العربية فذكرها السعدي بقوله: (وعلى موطن توات تخلف هناك كثير من أصحابه) راجع عبد الرحمان بن عبد الله السعدي, تاريخ السودان, مطبعة بردين 1898م, صفحة 07 وأشار إليها ابن بطوطة في رحلته بقوله: (وصلنا إلى بودة وهي من أكبر قرى توات وأراضيها رمال وسباخ) راجع ابن بطوطة محمد بن عبد الله تحفه النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار, المكتبة التجارية بمصر ج2 ص 210.

[2] القصور عبارة عن تجمع سكاني يرتبط سكانه في ما بينه من ناحية القرابة أو المصالح المشتركة وتجمع بينهم علاقات اجتماعية أدت بهم إلى السكن الجماعي داخل القصر

[3] أنظر:

DEPORTER. La question du Touat au Sahara algérien. Alger : Fontana, 1891, p.16.

[4] Deporter, op. cit. p.18.

[5] وردت هذه التسمية (تيميمون) في رسالة من الشيخ سيدي أحمد البكاي للشيخ سيدي المختار الصغير: (إنهم ينتظرون البرابرة وإنهم قد حالفوا أهل (تيميمون) الشيخ سيدي أحمد البكاي, مركز أحمد بابا, تمبكتو رقم 373 ص02.

G. MERCADIER, R. RONDREUX, J SALLERAS. L'oasis rouge : impressions sahariennes. Alger : Chaix,1929.

قصور أولاد سعيد: تضم ثلاثة قصور أهمها القصر الكبير الذي يبعد بحوالي عشرة كيلومترات عن قصر الحاج قلمان ولهذه القصور أهمية من الناحية الاقتصادية بحيث تتكامل مع قصور تيميمون.

قصور تقانت: تقع في الضفة الشمالية لسبخة تينجورارين وتضم سبعة قصور أهمها طلمين وهي فقيرة من ناحية النخيل مياهها قريبة وتقع بحوالى ثمانية وأربعين كيلومتراً غرب أولاد سعيد.

- **قصور حيحة:** تقع على الضفة الشمالية للسبخة وتضم خمسة قصور أهمها قصر الحيحة الذي يقع وسط الكثبان الرملية.

- **قصور شروين:** تقع على الضفة الغربية لسبخة الإقليم وتضم أربعة قصور متقاربة المسافة فيما بينها أهمها قصر شروين الذي تنعدم به زراعة النخيل.

- **قصور الزوى ودلدول:** تقع في الجنوب الشرقي من السبخة وجنوب مقاطعة شروين ودلدول وتتألف من سبعة قصور قريبة من بعضها البعض أهمها: قصر دلدول المتميز بكثرة نخيله.

- **قصور الدرامشة:** تقع غرب دلدول بحوالي خمسة وعشرين كيلومتراً وتضم أربعة قصور أهمها: قصر المطارفة الذي به عدد كبير من النخيل.

- **قصور تسابيت[1]:** تقع على بعد خمسة وثلاثين كيلومتراً جنوب غرب مقاطعة الدرامشة وتبعد عن وادي مسعود بأربعين كيلوا متر وتشتمل قصور تسابيت على إحد عشر قصراً أهمها برينكان و المعيز.

- **قصور السبع[2]:** تظهر على بعد خمسين كيلومتراً جنوب قصر الهبلة وتضم قصرين هما السبع والقرارة.

2- منطقة توات الأصلية أو تسوات*:

تقع ما بين نهايات الهضبة العليا للقرارة التي تكون الحافة الشرقية لوادي مسعود والحافة المقابلة له المسماة العرق الغربي فتوات العليا تبدأ من أعالي مقاطعة بودة في النقطة التي ينحرف فيها واد مسعود باتجاه الغرب فيأخذ اتجاهه الأول من الشمال إلى الجنوب ليصل إلى رقان وهذا الامتداد هو ما يسمى بمقاطعة توات الأصلية وأهم قصورها ما يلي:

- **قصور بودة:** [3] تتركز هذه القصور في واد مواز لواد مسعود تبعد بحوالي أربعين كيلومتراً شرق قصور تيمي وهي تقع في أقصى قصور توات تنقسم إلى مقاطعتين بودة الفوقانية (العليا) وبودة التحتانية (السفلى) وتبعد المقاطعتان عن بعضهما بحوالي ثماني كيلومترات ومجمل قصور المقاطعة اثنا عشر قصراً سبعة منها في بودة الفوقانية وخمسة في بودة التحتانية.

---

[1] ذكرها العياشي في رحلته بقوله: ((ثم دخلنا أول عمالة توات وهي قرى تسابيت وبعنابها خيلنا وما ضعف من إبلنا واشترينا ما نحتاج إليه من التمر وبها أنواع كثيرة ووجد التمر فيها رخيصاً)) أنظر أبو سالم محمد العياشي رحلة العياشي طبعة فاس الحجرية ص20.

[2] اعتمدت في التعريف بهذه القصور على المراجع التالية فرج محمود فرج إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر -الجزائر- ديوان المطبوعات الجامعية 1984م.

ECHALLIER J.C . Villages désertes et structures agraires anciennes du. Touat, Gourara, Sahara algérien. Paris : Arts et métiers graphiques, 1972

- يرجع أصل التسمية إلى سيدي سليمان بن علي الذي قدم من فاس على سبع وعندما حل بالمنطقة اصبحت تحمل هذه التسمية انظر

A. Selka. « Notice sur le Touat : population, çofs, ksours, légendes
Commerce, industrie, agriculture, élevage mœurs et coutumes ». - Bulletin de la Société de géographie d'Alger, 1922.

[3] ذكرها ابن بطوطة بقوله: (وهي أكبر قرى توات وأرضها رمال وسباخ وتمرها كثيرة ليس بطيب لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة) أنظر بن بطوطة المصدر السابق ج2 ص 210-211.

- **قصور تيمي:** [1]: تقع جنوب مقاطعة بودة وتتمركز في اتجاه مواز لواد مسعود بها كثافة سكانية كبيرة مقارنة بقصور توات وتتألف من تسعة وثلاثين قصراً أهمها: قصر تيمي الذي تلتقي فيه معظم الطرق القادمة من الشمال والشرق والغرب.

- **قصور تمنطيط**[2]: تقع جنوب قصر تيمي وتبعد عنها بحوالي إثنا عشر كيلو متر تفصل بينها سبخة تبعد عن واد مسعود بحوالي خمسة وثلاثين كيلوا متر وتضم خمسة قصور ثلاثة منها عبارة عن حصون متصلة فيما بينها.

- **قصور بوفادي أو أولاد الحاج:** تقع جنوب تمنطيط بحوالي اثنا عشر كيلومتر وهي منخفض موازٍ لواد مسعود تبعد عنه بحوالي ثلاثين كيلومتر تضم هذه المجموعة أربعة قصور أهمها: القصر الكبير.

- **قصور تسفاوت أو فنوغيل:** تقع غرب بوفادي وتنتشر في منخفض واسع موازٍ لواد مسعود تضم سبعة عشر قصراً أهمها قصر تسفاوت في الشمال والمنصور في الجنوب.

- **قصور تامست** [3]: نشأت جنوب فنوغيل في منخفض بموازاة واد مسعود الذي لا يبعد عنها إلا بحوالي عشرين كيلومتر تضم هذه المجموعة أربعة عشر قصراً أهمها من حيث التجارة والسكان لحمر تيطاف.

- **قصور أنزجمير:** تلقب بتوات الحنة لإنتاجها الوفير لهذه المادة وتتواجد في المنخفض الأيسر لواد مسعود تفصلها عنها السبخة وتضم هذه المقاطعة ثلاثة عشر قصراً أهمها قصر أنزجمير.

- **قصور سالي:** تظهر جنوب أنزجمير على بعد أربعة عشر كيلومتر وتقع في المنخفض الأيسر لواد مسعود تضم هذه المجموعة ثلاثة عشرة قصراً أهمها قصر المحارزة أو القصر الكبير.

- **قصور زاوية كنتة أو أولاد سيدي حمو بلحاج:** تقع جنوب قصور تامست الحافة اليسرى لواد مسعود تضم هذه المجموعة ستة عشرة قصراً أهمها زاوية كنتة, زاوية الشيخ سيدي عبد الكريم.

- **قصور رقان:** تقع في أقصى جنوب توات وجنوب سالي: تتألف من خمسة عشرة قصراً أهمها تيمادانين.

3- إقليم تيدكلت[4]:

توجد تيدكلت بين توات الأصل غرباً وهضبة تادمايت شمالاً وهضبة مويدر جنوباً يخترقها وادي (أقراباً) الذي يصب في واد مسعود نحو الجنوب الغربي أهم قصور منطقة تيدكلت:

- **قصور أولف:** تقع في نهاية منخفض تادمايت وتبعد بحوالي ثمانين كيلومتراً شمال شرق رقان تنقسم إلى قسمين أولف الشرفة وأولف العرب.

- هذه الأخيرة بها عشرة قصور عرفت بهذا الاسم لكونها موطناً للعرب وأهم قصور أولف قصر زاوية حينون الذي يقطنه أولاد زنان.

---

[1] ذكرها الشيخ سيدي أحمد البكاي فقال: ((أما صلح أهل تيدكلت فيقبلونه بمجرد الملاقاة وأما صلح أهل سالي وأهل تيمي فإلى أن ينتف أحدهم جدراً آخر)) انظر الشيخ البكاي نفس المصدر الصفحة الأولى.

[2] تمنطيط ذكرها الحاج عبد الرحيم محمد الطيب بقوله ((فاعلم أن تمنطيط اسم لمدينة في إقليم توات اجتمع فيها العلم والعمارة والديانة والرئاسة بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع)) القول البسيط في أخبار تمنطيط تحقيق فرج محمود فرج تا بع لأقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ص 13-14.

[3] Deporter, op. cit. p. 33.

[4] - G. ROHLFS. Résumé historique et géographique en Touat et à In Salah, publié par les soins du Dr Auguste Peterman. Paris : s.n,1866.

A. G .P. MARTIN. Quatre Siècles d'histoire marocaine : au Sahara de 1504 à 1904 au Maroc de 1894 à 1912. - Paris : Félix Alcan, 1923 .

- **قصور أقبلي**[1]**:** تقع هذه القصور جنوب تيدكلت وتبعد عنها بحوالي خمسة وثلاثين كيلومتراً توجد بسهل منبسط وأشهر قصورها قصر بونعامة.

- **قصر تيط:** يقع بجانب سلسلة من المرتفعات بحافة الهضبة السفلية لتادمايت على بعد تسعة عشرة كيلومتر شمال شرق أقبلي وهي تضم قصراً واحداً.

- **قصور أينغر:** توجد في منحدرات هضبة تادمايت وتبعد بحوالي ثلاثين كيلو متر عن قصر تيط وتضم سبعة قصور أهمها قصر الخال.

- **قصور عين صالح:** تقع في منحدرات هضبة تادمايت على بعد خمسين كيلومتر شرق أينغر وثلاثمئة وثمانين كيلومتر جنوب غرب المنيعة وستمئة وثلاثين كيلومتر من ورجلان وهذه المسافات مقدرة بحسب مسالك الإبل.

تنتشر قصور عين صالح من الشمال نحو الجنوب وهي تضم اثنا عشر قصراً أهمها قصر العرب أو القصر الكبير الذي يقطنه أولاد باحمو.

ومجمل قصور توات تزيد عن ثلاثمئة قصر[2] تؤلف سلسلة من القصور تنفتح على الشمال وتنغلق باتجاه صحراء تنزروفت.

أما اسم توات فقد جاء في بعض التعاريف أنه بربري الأصل معناه الواحات[3] وقد ذهب بعض الدارسين الفرنسيين إلى ربطه بالأصل الإغريقي فزعموا أن الفرنسيين يطلقون على الواحات اسم (وازيس OASIS) ووازيس مصطلح إغريقي الأصل مركب من مقطعين الأول (وا OA) وقد توصل علماء الاشتقاق اللغوي إلى أن (وا.OA) هذا يتطابق مع المصطلح البربري (وا OUA) الذي هو تعبير عن الجمع مفرده توات (Touat) مثل تواتن عبو (Touat'n ebbou) ومعناه واحة الماء وهو يطلق باللفظ والدلالة عند الجغرافيين على منطقة الواحات التي تحمل هذا الاسم بالحوض الشرقي لواد الساورة[4] وذكر الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي أصلاً آخر للتسمية قال: ((حكي عن بعض القدماء أن أهل الصحراء لما طلبهم المهدي ملك الموحدين بالمكوس والمغارم استضعفوا وقالوا لم يكن بأرضنا ذهب ولا فضة وكان ذلك شهر الخريف فأمر عامله أن يقبض في المغارم الرطب والعنب وسائر الثمار و الكروم ففعل ثم باعه السلطان للبدو والنازلين قرب تلمسان فحملوه وعظمت بذلك المصلحة فصدر الأمر منه في العام الثاني بتخريص الأشجار وقبض الأتوات كيلاً ووزناً على حسب التخريص فعرف أهل هذه الأرض بأهل الأتوات لأن السلطان قبلها منهم في المغرم)) وهذه الرواية أصح .[5]

ولهذا اللفظ مستند في العربية قال في المصباح التوت هو الفواكه الفاكهة والجمع أتوات فعرفت هذه البلاد بأهل الأتوات بحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه قال ابن مالك: وحذف الـ في أن ننادي أو تضف أوجبا, فصار توات بعد حذف التعريف والمضاف فإن قيل كيف يحذف التعريف

---

[1] أقبلي (ومما نقطر عليكم من خير مع أهل توات أننا وصلنا إلى أقبلي ....) انظر الشيخ البكاي نفس المصدر ص01.

[2] ذكر ابو فارس عبد العزيز الفشنالي في كتابه (مناهل الصفا في مأثر مولنا الشرفا) تحقيق د عبد الكريم كريم مطبوعات وزارة الأوقاف– الرباط-د-ت ص73 ان ابن خلدون قدر قصور إقليم توات بحوالي ثلاثمائة قصر وتذكر مصادر فرنسية أن عدد واحات إقليم توات بفروعه الثلاثة (قورارة, توات الأصل, تيدكلت) كانت تصل إلى ثلاثمائة وأربعون قصراً انظر:

Frisch. Le Maroc géographie organisation politique. Paris : s.n.,1895, p. 355-358

[3] انظر:

Élisée Reclus. Nouvelle géographie universelle., T. XI. (L'Afrique septentrionale.) Paris : Hachette, 1886, p .845.

[4] A.G.P. Martin. Quatre siècles…, op. cit., p.1-2

[5] سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي. مخطوط درق الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام خزانة بن عبد الكبير المطارفة ص03.

مع حذف المضاف مع أن الإضافة سبب حذف التعريف أجيب بقول ابن مالك وفي غيرهما قد يحذف على رواية بعض النحويين, فصار هذا الاسم علماً على هذا القطر الصحراوي من تبلكوزة إلى عين صالح[1].

التضاريس والمناخ والغطاء النباتي

حسب المميزات الجيولوجية يمكن أن نلاحظ أن منطقة توات لها رواسب فيضية ترجع للزمن الرابع[2] والتي تتسع في الجهة الغربية وجنوب هضبة تادمايت ذات الصخور الكرتياسية بينما تحدها من جهة الشمال كثبان العرق الغربي ويحدها من الغرب كثبان عرق إيقيدن أما من جهة الجنوب فإن هضبة مويدير تكون الحدود الطبيعية لسهول توات[3].

وإذا لاحظنا الخريطة الجيولوجية التي وضعها قوتي(Gautier) وجدنا أن البنية الصخرية تمتد لمجموع أجزاء منطقة توات من بنية متنوعة الصخور يمكن تصنيفها إلى الشكل التالي:

صخور قديمة ترجع إلى ما قبل الزمن الأول وهي التي تكون القاعدة السفلى للطبقات الرسوبية التي تكونت عبر الأزمنة الجيولوجية التي تلت الزمن الأول, وتظهر هذه القاعدة أحياناً على السطح خصوصاً بمنطقة الخطوط الانكسارية مثل الخط الانكساري الغربي الممتد على حوض واد الساورة والخط الانكساري الشرقي الذي يمتد جنوب شرق العرق الكبير الذي يظهر جنوب توات[4].

صخور الزمن الثاني: أوما يسمى بالعصر الكريتاسي الأوسط, الذي يظهر بشكل واسع على الجانب الشمالي والشمالي الغربي للخط الانكساري الشرقي ما بين تينجوراين غرباً إلى شمال شرق منطقة لحمر.

صخور الزمن الرابع: التي تظهر بالسبخة الواقعة شرق تاسفاوت وشرق شروين وفي بعض النقاط المحدودة جداً[5]. هذه معظم صخور البنية السطحية التي تتكون منها منطقة توات والتي تعطي تضاريس متنوعة ذات مميزات صحراوية أهمها العرق الذي يمتد بشكل واسع بالقسم الشمالي لتوات من الغرب إلى الشرق إضافة إلى بعض أجزاء تضاريس الحمادة ذات الشكل المتحجر التي تظهر بالمنطقة من حين لآخر.

كما توجد سلاسل جبلية ذات ارتفاع بسيط مثل سلسلة كرزاز التي تمتد غرب حوض الساورة مع عدد من السلاسل والكتل المتناثرة في القسم الشرقي من توات والتي تتخلها عدداً من الأحواض والسهول وتظهر حول السبخات وأحواض توات إلى جانب مناطق الكثبان الرملية التي تحتل جانباً مهماً في الشكل العام للتضاريس[6].

- أما المناخ تدخل المنطقة ضمن نطاق المناخ الصحراوي الذي يتميز بارتفاع
- درجة الحرارة صيفاً والبرودة شتاءً إذتكون نسبة تساقط الأمطارسنوياً لا تزيد عن خمسة

---

[1] سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي التواتي، المصدر السابق ص03/ب .

[2] قسم الجيولوجيون, عمر الكرة الأرضية حسب نوع الصخور وتفاوت أعمارها إلى أزمنة جيولوجية هي:
ما قبل الزمن الأول وحدوده غير معروفة بالضبط.
ثم الزمن الأول والثاني والثالث والزمن الرابع الذي ما يزال مستمراً إلى الآن وكل زمن من هذه الأزمنة مقسم إلى عصور كل عصر مقسم إلى فترات كل فترة تمتد ملايين السنين.

[3] Emile-Félix Gautier. Le Sahara Oranais. Paris : A. Colin, [1903], p.235

[4] E. Fischer-Piette. « Note sur le terrain carboniferien de la région d' Igli ». Bull. soc. géog., lll série, XXVlll,1900, p. 915.

[5] Emile-Félix Gautier, op. cit., p. 235 – 259

[6] Ibid, p. 245-247.

وعشرين ملم

وهذا ما يجعل السنة تتكون من فصلين أحدهما بارد من ديسمبر إلى فيفري وباقي شهور السنة تتميز بارتفاع درجة الحرارة وتصل إلى خمسين درجة مئوية[1].

وبتمبكتو لا تقل الحرارة عن أربعين درجة وهذا ما جعل الرحالة الألماني جيرار رولف(Gerard Rohlfs) يصف المنطقة بقوله:(فالحرارة مرتفعة في فصل الصيف وتصل إلى أربعين درجة مئوية تحت الظل من الساعة التاسعة صباحاً إلى الرابعة مساءاً بينما يسود الليل اعتدال في الطقس)[2].

- أما الرياح الجافة فتهب بالإقليمين باتجاه شمال شرقي وشرقي, فهي خفيفة تتحول إلى زوابع تدفع أمامها الرمال وتنقلها من مكان إلى آخر فتمحوا معالم الطريق وتغطي بساتين النخيل وتزحف على المساكن.

- وقد ترتب على هذا النوع من المناخ ظهور حياة نباتية فقيرة تتكون في مجملها من أنواع يمكنها أن تتحمل الجفاف الشديد فمن هذه النباتات ما هو قصير العمر حيث لا تزيد دورة حياته عن الشهر فهو ينمو عقب سقوط الأمطار مباشرة ثم يجف ويترك بذوره في الأرض حتى تسقط الأمطار مرة أخرى فينموا من جديد ومنها ما له جذور يغوص في الأرض ليستفيد من رطوبتها ويصل إلى مستوى الماء الباطني [3].

وأفضل الأماكن لنمو النباتات في الصحراء هي الأماكن التي ينخفض مستوى سطحها نسبياً عما حولها حيث تنحدر إليها مياه الأمطار القليلة وتكون تربتها غالباً مكونة من المواد الطينية والرملية الناعمة التي تجلبها المياه المنحدرة من الأعالي, ومن أهم هذه النباتات:

× السبط نبات شوكي ينموا غالباً على منحدرات العرق وياكله الغنم والجمال والحمير.

× الفرسيق: شجرة متوسطة الطول تنموا بجانب السباخ والمناطق الرطبة تأكلها الجمال بكمية قليلة وتستعمل للتسخين ويستخرج منها القطران إضافة إلى أنواع أخرى منها الدمران –دراق النوم- أوراش – تبلكوصت – العقاية – النخيل[4].

أما ابتداء من خط عرض عشرة درجة شمالاً فتظهر حشائش السفانا وهي في جملتها من الأنواع الخشنة ذات الأوراق النصلية الطويلة تبدأ في النمو بمجرد حلول فصل المطر بداية من شهر سبتمبر يتراوح ارتفاعها ما بين مترين أو أربعة أمتار[5].

الوسط البشري

حسب المصادر الفرنسية[6] فإن مجموع سكان إقليم توات بفروعه الثلاثة كان يصل إلى حوالي مئتي ألف نسمة خلال القرن التاسع عشر لكن هذا الرقم بني على تكهنات وتقديرات سطحية فعندما احتلت فرنسا قصور عين صالح خلال شهر يناير سنة ألف وتسعمائة (1900) عقد اجتماع بين الضباط الفرنسيين في الجزائر وفي هذا الاجتماع قدم الضابط فلاماند (Flamand) عرضاً عن حالة الواحات التواتية التي تم احتلالها وقدم في هذا العرض تقديراً جديداً لسكان الإقليم اعتبر فيه أن عددهم

---

[1] Devors. le Touat étude géographique et médicale. Alger : Institut Pasteur, 1947, p 230.

[2] Victor-Adolphe Malte-Brun. Résumé historique et géographique de L'exploration de Gérard Rohlfs. Paris : Challamel, 1866, p. 102.

[3] عبد العزيز طريح شرف. الجغرافيا المناخية والنباتية ج 01. د.م. : د.ن. 1971، ص.357.

[4] Louis Voinot. « Le Tidikelt étude sur la géographie l'histoire et les mœurs du pays ». Bulletin de société de géographie et d' archéologie de la province d'Oran, t. 29, 1909 p. 204-206.

[5] عبد العزيز طريح شرف، المرجع السابق ص 346-347.

[6] Frisch, op. cit. p. 373.

يصل إلى مئة وخمسة وخمسين ألف نسمة ولكن بعد حوالي سنتين فقط حيث كانت فرنسا قد سيطرت على مجموع الواحات التواتية تقريباً إضطرت أن تقوم بإحصاء جديد لا يقوم على ضبط تام ولكنه الضبط وقد ذكر كويتي[1] أن التقدير الذي ذكره فلاماند يجب أن ينقص منه ثلثان حسب الإحصاء الجديد والذي أعطى عدداً لمجموع سكان إقليم توات لا يتجاوز خمسين ألف نسمة.

وقد تحدثت المصادر الفرنسية المختلفة عن نوعية السكان وعناصرهم المختلفة وتدخل هذه العناصر في بنية اجتماعية مكونة من الأحرار والعبيد والنصف أحرار, يمثل الشرفاء العلويون ربع سكان الإقليم[2].

ونقدم لائحة بعدد سكان الواحات حسب التقديرات التي أعطاها لها الرحالة الأروبيون وفي طليعتهم كوين ورولف الذين وصلوا إلى هذه الواحات خلال القرن التاسع عشر[3]:

- شروين (تينجورارين) ..... 500 مسكن.
- الشارف وزاوية سيدي عمور..... 400 مسكن
- برينكان (تسابيت) ..... 600 مسكن
- أدرار ..... 500 مسكن
- تمنطيط .....600 مسكن
- تاوريرت ..... 600 مسكن
- تيلولين ..... 600 مسكن
- قصر العرب (عين صالح) ..... 600 مسكن

كما يضاف إلى هذه الاحصائية لسكان توات رقم آخر من الرحلة الذين كانوا يتواجدون بواحات إقليم توات في إطارترابط اجتماعي بينهم وبين والسكان الأصليين[4].

وأهم ما يلفت انتباهنا في البيئة السكانية لإقليمي توات والأزواد خلال هذه الفترة هو ظهور النزعة القبلية في الحياة السكانية وانعدام السلطة الفعلية التي تضبط الأمن بالإقليميين هذا ما أشاع روح التنافس بين القصور المتناثرة في إقليم توات ونفس الظاهرة نلاحظها بإقليم الأزواد فقد كثرت التحالفات بين القبائل لتستعين قبيلة بقبيلة أخرى أو تغزو قبيلة قصرًا معيناً وهذا ما أكثر الغزو ما بين القصور وتدخل العلماء في إصلاح ذات البين وقد وردت أسماء عديدة كان لها الفضل في إيجاد حلول لمشاكل مختلفة إلا أن هذه الجهود لم تحقق هدفها وقد ظهر في مجال الحياة الاجتماعية عدة حروب نذكر منها:

1- حرب أحمد وسفيان بإقليم توات:

أخذت هذه التسمية من الحرب التي دارت بين أحمد وسفيان قبل إسلامه هذا لإظهار درجة العداوة الواقعة بين هاتين القبيلتين العربيتين باعتبار أن أحمد يمثل رأس المسلمين وسفيان يمثل قريش وبذلك أصبحت تعرف هذه الحروب بيحمد وسفيان وقيل يحمد تحريف لكلمة يحي وسفيان هي قبيلة من البربر حاربت يحي فصارت عداوة بين يحمد وسفيان[5] وقيل لما نزلت زناتة بأرض الصحراء قالوا أنها تواتي للسكن واستعان بعض زناتة بالعرب على بعضهم البعض واشتعلت نار الفتنة بينهم

---

[1] (01) E.F. Gautier. Sahara oranais, op cit. p. 256

[2] A.G.P. Martin. Les Oasis sahariennes : Gourara, Touat, Tidikelt. - Paris : Challamel, 1908., p. 109.

[3] Elisée Reclus, op. cit., p. 856.

[4] أحمد العماري. توات في مشروع التوسع الاستعماري الفرنسي بالمغرب. رسالة ماجستير من جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية. د.م. : د.ن.، 1988، ،ص34

[5] أنظر سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، المصدر السابق، ص. 03

واستخفوا بعامل السلطان الذي أخبره أن أهل الصحراء اشتدت الحرب بينهم كتلك التي وقعت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان فصار التعصب للقبيلة هو الروح السائدة في ذلك العصر[1] وبأقصى إقليم توات نجد الروح العصبية هي السائدة فكانت قبيلة أكدوع من رقان تمثل قوة فعندما تمر على أي قصر من القصور ولا يقدم لها الضيافة الواجبة لهم أو يقصرون في ذلك فيكون جزاؤهم نهب أموالهم والتعدي عليهم وهتك حرماتهم وأعراضهم وقد مروا في إحدى رحلاتهم على زاوية سيدي عبد القادر فلم يجدوا أباهم فقام أولاد سيدي عبد القادر باستضافتهم فعندما لم يرضوا بما قدم لهم من الضيافة نهبوا القصر وأخذوا أدواتهم الخاصة بنشاطهم الفلاحي من ملابس وحيوانات كغنيمة لهم وتوجهوا بها إلى تمنطيط التي نزلوا بها عندها علم الأخوان سيدي محمد الصالح وسيدي عبد الكريم ابناء عبد الحق التمنطيطي بما جرى بزاوية سيدي عبد القادر وما لحق بها من نهب وسطوا فتدخلا لصالح أبناء سيدي عبد القادر وأصلحا ذات البين بين قبيلة أكدوع وأبناء سيدي عبد القادر[2].

ومن مظاهر النزاعات القبيلة والتي تعتمد على القوة والغزو الذي كان مألوفاً ومتعارفاً عليه بالأزواد هي تلك الحروب المريرة التي لم تنته وبقيت مشتعلة بين سكان تمبكتو والطوارق وما بين الطوارق والبرابيش وسائر قبائل الأزواد نجد الكنتيين كانوا بمثابة صمام الأمان لهذه الأقاليم ومن مظاهر تلك الحروب ما حدث بين الرماة القاطنين بتمبكتو فقد غادر الرماة بابتيت من طوارق تادمكت وقتلوه فتعرضوا لغزو الطوارق الذين حاصروا الرماة في ديارهم وحالوأ بينهم و بين تجارتهم فماتوا من الجوع وأيقنوا بهلاكهم عن أخرهم بعد ما سلبوهم أهم أسباب معيشتهم فلم يجد سكانها أي شيء يأكلوه فكثرت الأمراض وعم الوباء وأشرف سكانها على الهلاك وعندها تدخل الشيخ سيد مختار الكنتي وتوصل إلى صلح بينهم وبين الطوارق ومما نص عليه:

تقديم ألف ثوب وعشرة خيول كل عام لقبيلة تدمكت من الطوارق.

يكف الطوارق عن الرماة ويرفع عنهم الحصار.

وقد كانوا عازمين على إلغاء ذلك الصلح لكن وجدوا من غير المجدي التخلي عنه لأنه يمس بحياتهم الاقتصادية والاجتماعية وهذا بعدما أدركوا حجج الشيخ سيد المختار التي قالها لهم وقد قبلوا بها "..... فقدمت عليكم وقد أشرفتم على الهلكة فألجمت الطوارق عنكم وأرضيتهم بل حملتهم على أخذ ما تبذلون بأيديكم عن موتاهم الذين لا يأخذون عليهم الدية في عرفهم"[3] وهذا ما يدل على السياسة الحكيمة للشيخ المختار التي أنتهجها في حفظ التوازن بين قبائل الأزواد وكثير ما كان يكرر قول الشاعر عندما تحل النائبات والمكاره:

الدهر لا يبقى على حالة *** لكنه يقبل أو يدبر

فإن تلقاك بمكروه *** فاصبر فإن الدهر لا يصبر

وبوفاة والد خيمك المسمى بن عومر أراد أن ينقض الصلح الموقع بين قبيلة تدمكت من الطوارق وقبيلة الرماة[4] وجاء بجيشه لمحاصرت تمبكتو ثانية وقد خرج إليه الشيخ سيد المختار وأخبره بالصلح الواقع بين الطوارق والرماة وأهانه لما ينوي فعله من نقض للعهد وذلك بقوله "أركبتك سرجاً لا يصلح لك ولا تصلح له" وأعطى الولاية إلى غيره فولاها إلى باش بن انتيقاد وأعطاه الطبل وتولى

---

[1] سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، المصدر السابق، ص 03.

[2] تفس المصدر ، ص. ص. 13-14

[3] أنظر الشيخ محمد بن الشيخ المختار الكنتي. مخطوط الطرائف والتلائد. مكتبة الحاج أحمد الكنتي، زاوية كنتة، ص.222

[4] الرماة أصولهم مغربية ويمثلون بقايا حملة المنصور وهم طبقة المولدين الذين كانوا يحمكون تمبكتو وينحدرون من المقاتلين المغاربة الذين قدموا مع جنودرباشا للاستيلاء على تمبكتو، أنظر:

Paul Marty. Etudes sur l'islam et les tribus du Soudan, t. 2. Paris : s.n., 1920, p. 67.

سلطنة تدمكت إلا أنه لم يحسن السير في سياسة هذه القبيلة ولم ينتهج سيرة ابتيت وأبيه محمد المختار الذين كانوا في غاية الأدب مع الشيخ ونظراً لكبره –باش بن أشيقاد- وتجبره وزهوه بالسلطة قرر الشيخ عزله بمساعدة أم بن آك فقد نزع منه الطبل وسائر مظاهر السلطة من باش ابن انتيقاد وأرجعاها إلى خميك فتولاها وحسنت سيرته كسيرة آبائه ومن الهدايا التي قدمت للشيخ سيد المختار ألف مثقال ذهباً أربعين خادماً ما بين أمة وعبد وأربع مئة بقرة وعدة كلل والفِرى.

وقد ثار الغميري على خميك الذي التجأ إلى قبيلة أولمدن فكانت واقعة إيران تكيفت وقد انتهت هذه المعارك بمعركة, أركون بانتصار الغميري وقد قتل عدد كبير من قبيلة أولمدن وصل إلى المائة وقد أخرجوهم من بلادهم ونزلوا ببمبارا وقاو وهنا أرسلوا برسائل إلى الشيخ سيد المختار يطلبون منه التدخل ليصلح ذات بينهم وقد عبروا على ذلك بالهدايا والرسائل والمجيء إلى قبائل أولمدن وقد طلب من الغميري أن يكون بجانبه حتى يفد به إلى أهله وقد أصلح ذات بينهم نظراً لاعتراف الغميري بما وقع من الخطأ أمام قبيلة أولمدن وما للشيخ سيدي المختار من مكانه في هذه القبائل[1].

ومن الخلافات أيضاً التي وقعت بإقليم الأزواد الخلاف الذي قام بين أولاد الناصر وأولاد بل وهذا بعدما أغار فرد من أولاد بل على شول أعمر بن موسى بن أشبيشب من قبيلة أولاد الناصر وقد انهزام أولاد بل بعدما قتِل عدد منهم ونهبت أموالهم وأرزاقهم وسبي أولادهم.

وقد وقع نزاع بين فرعين رئيسيين من قبلتي أولاد أبي سيف وقبيلة المعزوز وهذا بعدما قتل الدليمي فتى ينتمي لقبيلة أولاد أبي سيف ولم تستطع أية قبيلة أن تضع حداً لهذا النزاع وفي النهاية قام بوضع حد لهذا النزاع الشيخ سيد المختار الذي أمر ببناء خيمة و أمر أن يضرب على الطبل حتى يسمعه السكان فيجتمعوا حوله وجاء بناقة وأوقفها إلى جوار الخيمة وطلب من قبيلة المعزوز أن يأتي كل واحد بناقة مثلها أو أفضل منها فانصرفوا ثم رجع كل واحد منهم يسوق ناقة ماخض تدفع بضرعها ثم جمع على تلك النكبة مائة وعشرين ناقة ما بين لفحاء وماخض وتوجه إلى أهل القتيل فأعطاهم مائة ناقة وطلب منهم العفو عن الجاني أما العشرون الأخرى فتوجه بها إلى أحميمد ليترك الولاية وزعامتها بأخذ العشرين ناقة فتخلى عن الزعامة وقبل النياق وسكنت الفتنة[2].

---

[1] أنظر: الشيخ سيدي أحمد البكاي، المصدر السابق ص. 441-451.

[2] أنظر الشيخ سيدي أحمد البكاي، المصدر السابق، ص. 285-286.

الأنساب وتشكيل البنية القبلية:

ويقدم لنا الشيخ محمد الطاهري مخطوط نسيم النفحات[1] وصف عام لسكان توات فيقول (الفصل الأول ذكر سكان توات وهم أربعة أقسام الشرفاء والعرب والمرابطون والموالي ولغتهم العربية والدارجة ودينهم الإسلام وعقيدتهم الإشعرية ومذهبهم مالكي وطريقتهم جنيدية, ويغلب على سكان توات سمرة البشرة وهذا يرجع لأشعة الشمس) وعلى وجه التفصيل فذكر الطيب بن عبد الله بن سالم البلبالي[2], أنساب أهل تيمى وهي:

- واينة: عوامهم ينسبون لأهل برينكان وشرفائهم من الهبلة ويرجع نسبهم تافيلالت.
- ميمون: ينسبون لمولاي يعقوب بن منصور بفاس.
- ملوكة: ينسبون لبلبالة وأبناء عمهم بكوسام.
- بربع: عوامهم ينسبون لأولاد باحم إخوانهم بعين صالح وشرفائهم بتافيلالت أولاد مولاي محمد.
- أوقديم: هم شرفاء من تافلالت بلغيتيين.
- أدغا: وأن عوامهم من أبناء الحاج العباس دوي منيع, والعبوبين من تونس, وأولاد سيدي حم من غات.
- أولاد اونقال: وأنهم أعراب ينسبون إلى الهقار.
- أولاد اوشن: وأن عوامهم ينسب بعضهم لسيد الحاج محمد الوهراني وبعضهم ينسب إلى غنوم وشرفائهم أحفاد لمولاي سليمان بن علي.
- أولاد علي: هم ينسبون لمولاي سليمان الحوت بتلسمان إخوانهم أهل تاله وقتنور وكالي تينجورارين.
- أولاد أحمد: هم عرب باكدال الآن.
- تاريدالت:هم شرفاء من تافيلالت بلفيتيين نزلوا على الشيخ علي قنتور ثم اندثروا.
- أولاد إبراهيم: ينتمون إلى أولاد دليم إخوانهم أولاد يحفص وأولاد بن أب من الساحل.
- أولاد أعروسة: ينسبون لسيدي أحمد العروسي مع سكان أولاد عيسى.
- أولاد عيسى بعضهم شرفاء ينحدرون من سيدي سليمان بن عمر من فاس وبعضهم أولاد سيدي أحمد العروسي من الساقية الحمراء من الساحل.
- بني تامرت: ينسبون للشيخ موسى الأقبوري والبعض لبني محمد ولأولاد باحم.
- زاوية سيدي محمد بن البكري: ينسبون لبني آمر وإخوانهم بتوقرت من عمالة الجريد وولاتة من أرض التكرور وهم شرفاء مرنيين.
- المنصورية: ينسبون للشيخ موسى الذي عمّر أقبور وهم من الساحل[3].

ويذكر صاحب نسيم النفحات أنساب بعض أهل توات السفلى وملخصه فيما يلي:

- تيلولين: ينحدرون من ذرية عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وجدهم محمد بن أبي زيان وكل أهل هذه القرية من أصل واحد إلا جماعة قليلة من شرفاء سالي يقال لهم الذهبيون نسبة إلى جدهم مولاي محمد الذهبي.

---

[1] أحمد الطاهري نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن فيها من الأولياء الصالحين والعلماء العاملين التقات. مخطوط بخزانة المدرسة الطاهرية بسالي أدرار ص24.

[2] الطيب بن عبد الله بن سالم البلبالي. مخطوط جريدة مختصرة في أنساب أهل تيمي. خزانة كوسام ص 1-2.

[3] الطيب بن عبد الله بن سالم البلبالي، المصدر السابق، ص. 02.

- تيطاوين: تيطاوين العرب أهلها من العرب الكرماء وتيطاوين الشرفة المنتمين إلى شرفاء زاوية كنتة
- زاوية بلال: وهم مرابطون.
- وعزين: وهم جعفريون.
- أنزجمير: وهما قصران: قصر يسكنه العرب وقصر يسكنه المرابطون من ذرية سيدنا أبي أيوب الأنصاري البخاري.[1]
- بوانجي: سكانها مرابطون من ذرية سيدنا محمد بن الحنيفة بن سيدنا علي كرم الله وجهه.
- أظوا: سكانها الأولون من عرب بلال وسكانها اليوم من شرفاء المحمديون من زاوية كنتة.
- بوعلي: ينتمي سكانها إلى البرامكة.
- زاوية كنتة: مرابطون يرجع نسبهم إلى بني فهر.
- أولاد الحاج: سكانه من أجواد العرب.
- زاوية الشيخ سيدي علي بن حنيني: ينتسب سكانها إلى أبي أيوب الأنصاري
- أبو حامد: سكانها من أولاد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[2].
- تيوريرين: سكانها شرفاء محمديون علويون.
- أيكيس:ينتمون إلى العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم.
- باعمور: وهم من قبيلة أولاد دليم.
- سيدي يوسف: وأهلها مرابطون.
- زاوية سيدي عبد القادر: يرجع نسبهم إلى بني فهر.
- المنصور: سكانه من الشرفاء.
- ودغا: يسكنها أبناء الشريف الصالح سيدي مولاي الزوين
- عزي: سكانها الأولون ينسبون إلى سيدي محمد بن الحنيفة
- تمنطيط: وبها أولاد سيد البكري وأولاد بن موسى قيل أن نسبهم يرجع إلى سيدنا إدريس
- الهبلة: وسكانها شرفاء علويون وجدهم يقال له مولاي علي بن بوبكر
- تسابيت: يسكنها عرب أفاضل كرماء ومرابطون وبها الشرفاء والموالي[3].
- أوقروت: وهي عبارة عن مجموعة من القصور الكثيرة يسكنها مزيج من الناس من عائلات و جماعات من شرفاء و مرابطين وعرب وموال[4].

إضافة إلى ذلك يذكر سلكة عبد الرحمان صاحب (ملاحظات حول توات) أنساب سكان القصور التالية:

- تينيلان: سكانها من سلالة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- مهدية: سكانها من أبناء سيدي أحمد بن يوسف من مليانة.
- مراقن: ينسب سكانها إلى عبد الله بن جعفر.
- بوفادي, توكي, وابنكور: ينحدرون من أولاد الحاج, أجدادهم قاموا بأولف ومقيدن ثم استقروا ببوفادي.

---

[1] أحمد الطاهري، المصدر السابق، ص 104- 105.
[2] نفس المصدر ، ص. 106.
[3] أحمد الطاهري، المصدر السابق ، ص. 122.
[4] نفس المصدر، ص. 104-120.

- بنهمي: شرفاء علويون.
- العلوشية وعباني: من أصول عربية.
- نومناس: من أصول عربية وينحدرون من أولاد الحاج[1].
- وأما إقليم تينجورارين فلم نعثر على نسب مفصل لسكانه إلا أن صاحب نسيم النفحات ذكر أصول بعضهم ومن ذلك قوله ومنهم ((أبناء الحاج قاسم...سكناهم الأصلي كان متليلي وانتقل الحاج محمد إلى تيميمون وأقام بها ... وقد أدرك في عصره من أبناء هذا الشيخ سيدي الحاج محمد عبد الكريم))[2]

ثم يقول: (ومن جملة التجار الأخيار الكرماء الأبرار الذين هم بتيميمون الحاج محمد بن الطالب السوسي) إلى أن قال: (ولقد كان في هذه الزاوية شيخ يقال له الشيخ سيدي محمد عبد الكريم الذي كان حبه للشرفاء لا يكاد يوجد ولا يملك مع الشرفاء شيئاً ولا يدخر عنهم شيئاً ... ونسب هذا الشيخ يرجع إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه, وقد كانوا قبل أن يسكنوا هذه الزاوية يقطنون بتدالت بالمغرب ويعرفون بالشرقيين والشيخ سيدي الحاج بلقاسم هذا كان يقرأ بتدالت ومن نسبهم الولي الصالح سيدي المعطي بن الصالح صاحب الزخيرة المتوفي سنة 1180هـ/1766م)[3]

وعلى الجملة فأهل تينجورارين خليط من الأشراف والمرابطين والعرب و أكثرهم قبائل مختلفة الأنساب منهم الزناتة ومنهم العرب.

وأما إقليم تيدكلت فنجد عند لويس فولنو (Louis Voinot)[4] عرضاً مفصلا للعشائر القاطنة به مما يعطينا فكرة إجمالية بتوزيع القبائل في قصور تديكلت في نهاية القرن التاسع عشر نجملها في الجدول التالي الذي يتضمن أسماء القصور والجماعات التي كانت تقطن إقليم تيدكلت :

المنطقة	اسم القصر	سكان القصر
فقارة الزوي	فقارة الكبيرة مولاي هيبة سلافن قصر حينون	زوى أولاد لعموش الزوى أولاد طالب علي-أولاد بيازيد الزوى
فقارة لعرب	فقارة لعرب	أولاد المختار
أقسطن	عسون – تاغست القصبة الفوقانية	أولاد الطالب علي أولاد حسون – أولاد دحان
حاسي لحجار	حاسي لحجار	أولاد دحان
الساهلة الفوقانية	قصر الفوقاني قصر سلافن	أهل عزي – أولاد سيدي عبد الله الزوى
الساهلة التحتانية	سهالة لمطارفة	أولاد بودحان أولاد أشميان
ملیانة	ملیانة	زوى – أهل عزي

[1] Abderahmane Selka. Notice sur le Touat…, op. cit. p. 540.

[2] أحمد الطاهري. نسيم النفحات، المصدر السابق، ص. 133.

[3] نفس المصدر، ص 133-134

[4] في كتابه : Le Tidikelt, op. cit., p 364.

الزناتة:

يسكنون في منطقة تينجورارين منذ أقدم العصور فكانوا ينتقلون بين جبال الزاب ومنطقة بسكرة ووادي ريغ كما كانت لهم علاقة مع سكان صحراويين ثم نزحوا نحو الجنوب فاستقروا بواد أمقيدن ثم نزلوا إلى تينجورارين، وعند سقوط دولة العبيدين في القرن العاشر ميلادي استقروا نهائيا بها وأسسوا قصورا نذكر منها : بني ملوك بني هلال و أولاد راشد.[1]

المحارزة:

ارتبطت هذه القبيلة باسم علي بن مسعود الذي قدم من الجزائر من بلاد تونس رفقة الشيخ معمر بن سليمان المعراج أبي العالية الذي استقر بآربا خلال القرن السابع أو الثامن الهجريين، أما علي بن مسعود المحرزي استقر بمنطقة تينركوك بعد ما أمره شيخه بذالك وكلفه بنشر التعليم في المنطقة وقد تزامن ذلك مع وجود الشيخ أحمد المرفوع الذي التقى به في منطقة تينركوك .

تعتبر منطقة تينركوك مكان تمركز هذه القبيلة بالإضافة إلى قصر حمو وتزليزة وزاوية الدباغ وفاتيس.[2] وقد أسسوا هذه القصور سنة 1012هـ [3].

كما تنتشر هذه القبيلة بالقصور الأخرى بسالي و تسابيت، وقد تفرعت هذه القبيلة إلى أولاد بدواية وزراري ومعزوزي وأولاد الطالب وأولاد حمادي وبن كادي وجبّار وعوماري ولزرق.

الخنافسة:

ينتشرون في المنطقة الممتدة مابين أوقروت وكبرتن منذ القرن الثاني عشر الميلادي ويتواجدون بضبط بقصر تبلكوزة وتعنطاس وزاوية الدباغ وأغيات والحاج قلمان وأولاد عايش[4].

الزوى:

ارتبط الزوى بمنطقة تينجورارين بسيدي سليمان بن أبي أسماحة وذلك سنة 897هـ-1477م وهي التي توفي بها سيدي سليمان في تبو بتينجورارين ومنذ هذا التاريخ ارتبط بالمنطقة نذكر منهم :

سيدي عبد القادر بن محمد الذي ارتبط بمنطقة أولاد سعيد وتبلكوزة وزاوية الدباغ ثم تبعه الحاج أبي حفص الذي درس عند الشيخ الحاج أبي محمد وتنقل بين أوقروت وعين صالح حيث أنشأ زاوية له وتوجه إلى البقاع المقدسة وبعد رجوعه من الحج سنة1133ه - 1720م أنهى مهمته ابنه محمد بن بحوص الذي استقر بالمنطقة وأسس

قصر الزاوي وانتشر أبناؤه الأربعة: بحوص وزيان ودحمان والطالب بالقصور المجاورة وأعادوا بناء قصر مولاي هيبة بأولف[5] ،وفي أثناء ثورة أولاد سيد الشيخ كثر ترددهم إلى تينجورارين فنزلوا بفاتيس وزاوية الدباغ ثم بعدها نزلوا إلى إقليم توات.[6]

الشعانبة:

نزلوا بإقليم متليلي سنة 751ه – 1350م وينتمون إلى ثامر بن تلال وتعتبر الصحراء الرملية إمتدادا لنفوذهم. ولقد انقسموا إلى ثلاثة أقسام :

قسم توجه إلى ورجلان واستقلوا بها تحت قيادة بوربة .

والقسم الثاني توجه إلى المنيعة واستقر بها تحت قيادة المحادة وأولاد يش

أما الذين استقروا بمتليلي يطلق عليهم إسم البرازقة وقد جاءوا إلى إقليم تينجورارين وتيدكلت عن طريق القوافل التجارية التي كانوا يقودونها إلى هذه المناطق[7].

وتذكر الرواية التاريخية إن الشعانبة ارتبطوا بتينجورارين عن طريق أحد أعيانهم الملقب

---

[1] Jean BISSON. Le Gourara: étude de géographie humaine Alger : Impr. d'Imbert, 1953, p. 93

[2] تبعد هذه القصور حوالي 300 كلم شمال مقر ولاية أدرار .

[3] مقابلة مع محمد الهاشمي بتركوك بتاريخ 2003/11/19م

[4] Jean BISSON, op. cit., p. 94

[5] VOINOT, p. 345

[6] مقابلة مع الطواهرية عبد الله أدرار يوم 2002/03/30م

[7] Yves REQUIER. Les Chaamba, sous le régime français. Paris : Ed. Douerait, 1958, p.10.

بحروز الذي أعان سيدي عثمان[1] إما في حفر فقارته المغير أو أنه ساعده في إعادة مياهها بعد ما سقطت حجرة أوقفت ماء فقارة المغير عن جريانها فأعانه على تكسيرالحجرة وجلب مياهها دون أن يأخذ نصيبه من الماء فدعا له بالخير وأعطى له الأمان له ولقبيلته بأن يسكن بجواره[2]، ويتركز الشعانبة في تينجورارين بزاوية الدباغ وتيميمون والعرق والمطارفة. أما بإقليم توات فيتركزون بتسابيت وبوعلي[3] ونفيس برقان، أما بتيدكلت فيتواجدون بأولف وعين صالح.

توزيع السكان وأماكن الاستقرار

هناك مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية المؤثرة على توزيع واستقرار السكان بالإقليمين، فواحات توات تقع فوق بحيرة من المياه وتمتد على طول واد مسعود وسبخة تيميمون بتينجورارين.

فوادي الساورة الذي يجري إلى فم الخنق تمتد مياهه إلى إقليم توات ويغذي هذا الوادي طبقات الماء الباطنية التي تمول الفقارات والتي يعتمد عليها السكان في السقي وتأتي قصور توات بمحاذاة وادي مسعود.

ومن الملاحظ أن الضفة اليسرى لوادي مسعود والضفة الشرقية لسبخة تينجورارين هي أماكن تكثر بها العيون و تتمركز حولها الحياة البشرية التي نشأت عنها الواحات يسود الوادي وشطوط السبخة رطوبة مرتفعة, ويعتبر عامل المياه والرطوبة أهم العوامل الجاذبة للاستقرار البشري[4].

هذا إلى جانب ميل الطبقات الرسوبية، نحو السبخة توجد كتل تضاريسية مرتفعة تتكون من طبقات صخرية تحتوي الطبقات الوسطى على الماء لذلك فإن ميل الطبقات الصخرية له دور مهم في توجيه جريان المياه الباطنية (الفقارات) فحول السبخات تميل الطبقات الصخرية للكتل التضاريسية المرتفعة في اتجاه الشمال الغربي وتمثله هضبة تادمايت وهذا الميل يساعد على تدفق المياه الباطنية المتمركزة في الجهات العليا نحو قاعدة الكتل التضاريسية حيث تنتشر الواحات التي تمثل مركز استقرار السكان[5] هذا وباستثناء بعض الواحات التي توجد متطرفة نحو الشمال مثل تاملين والحايحة فإن جميع واحات تينجورارين تتواجد تقريباً في موقع جغرافي متشابه:

أ- شط الظهراني (الشمالي).

ب- الشط الشرقي.

جـ- الشط القبلي (الجنوبي)[6].

1 فعلى وادي صالح بشط الظهراني (الشمالي): توجد المجموعة الأولى من واحات أقصى شمال قورارة أهمها:

- تبلكوزة, فتيس, ودغاغ, زاوية الدباغ, عين حمو

2 وفي منطقة المبروك شرق شط الظهراني (الشمالي): تمتد سلسلة قصور الخنافسة وعلى الواجهة الغربية للشط الشرقي توجد واحات أولاد سعيد.

3 أما بالنسبة للشط القبلي (الجنوبي): فتنتشر سلسلة من الواحات البعض منها تابع لواحات أولاد سعيد وبعضها يتبع منطقة تيميمون.

- أما منطقة توات فتبتدئ عند نهاية وادي الساورة وبداية وادي مسعود ابتداء من واحة بودة وتنتشر على الضفة اليسرى لوادي مسعود بقية قصور توات تنتهي عند قصر رقان ويقوم نشاطها

---

[1] سيدي عثمان يعتبر من علماء القرن السابع الهجري إشتغل بمهنة التدريس بمنطقة الشام ثم استقر بمنطقة تينجورارين التي حفر بها عدة فقاقير فأسس القصر القديم و المسجد العتيق و إشتغل بالتدريس وبعد وفاته خلف خمسة أولاد أمحمد بن عثمان الذي دفن بإقلي والسعيد الذي دفن بمكناس وأحمد الذي دفن بتدمايت.أنظر: نتف خطية بن خالد عبد الرحمان تيميمون.

[2] مقابلة تمام جلول بتيميمون 2003/04/21م

[3] أحمد الطاهري، المصدر السابق، ص. 106

[4] Emile-Félix Gautier, op. cit., p. 250.

[5] A.G.P. Martin, op. cit., p. 2

[6] A.G.P. Martin, op. cit., p. 4

الرئيسي على الفلاحة والسقي من مياه الفقارات التي تمون من المياه السطحية لوادي مسعود.

ويقع إقليم تيدكلت بين الأصل غرباً وهضبة تادمايت شمالاً وهضبة مويدير جنوباً يخترقها وادي أقربه الذي يصب في وادي مسعود نحو الجنوب الغربي بينما يتفرع من جهته الشرقية والشمالية الشرقية إلى عدد كبير من الروافد والشعب والأودية وقد كون نحت السيول شبكة معقدة من الفروع ساهمت بقيام واحات كثيرة بهذه الأودية تعتمد على المياه الأرتوازية في الحياة الرعوية الزراعية.

أما في إقليم الأزواد فيعتبر نهر النيجر العامل الرئيسي في توزيع السكان إضافة إلى المراعي ومنابع الماء المنتشرة بالمنطقة فبدو الطوارق والبرابيش إضافة إلى بعض البطون الكنتية يتنقلون في مناطق مختلفة من الأزواد حسب تواجد المراعي والمياه فمثلاً كان الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي يصل في ترحاله إلى الأطراف إلى الصحراء وانتهى في بعض المرات إلى موضع يشرف على نخيل درعة[1] وذكر (F.POUSSIBET) أن بدو البرابيش يقومون في أغلب الأحيان بدورة سنوية حول الآبار الموجودة بالمنطقة وتنقلات قصيرة بالقرب من النهر[2].

أما أهل المدن الرئيسية فهم مرتبطون مباشرة بنهر النيجر حيث أن (جني) تقع على أحد روافد مدينة تمبكتو إلى الجنوب الغربي, من تمبكتو, كما أنها تقع على منحنى نهر النيجر الذي تسقي سهولها من مياهه, كما توجد قناة تصل ما بين تمبكتو ونهر النيجر تسمح بدخول الزوارق الصغيرة إلى مدينة تمبكتو في موسم تساقط الأمطار[3].

يتبين من خلال ما سبق أن إقليمي توات والأزواد رغم تواجدهما في نطاق الموقع الصحراوي المتميز بالجرارة صيفاً والبرودة شتاءً إلا أن الإنسان الصحراوي استطاع أن يتكيف مع هذه العوامل الطبيعية القاسية فأسس عدة أقاليم اجتماعية كتنجورارين الملامسة لإقليم البيض والتي تتميز بتنوعها الحضاري وبنيتها الاجتماعية المختلفة من محارزة والذين يقطنون بتبلكوزة وفاتيس وعين حمو وخنافسة الساكنين بأولاد سعيد و شعانبة وزوى وزناتة كل هذه القبائل نجدها قد اندمجت مع بعضها البعض وأظهرت شكلية اجتماعية جديدة تسمى سكان تينجورارين ونفس هذه الظاهرة نجدها بتوات والأزواد وتيديكلت والأزواد فالمجتمع الصحراوي يتميز بحياته القبلية التي هي جزء من شخصيته تجعله يأخذ منها امتداده الروحي ليتعايش مع سائر القبائل الأخرى.

فهذا النمط السكاني أنجر عنه ظهور ما يسمى بالقصور بتوات والتي يزيد عددها عن ثلاثمائة قصر موزعة بين تينجورارين وتوات وتيديكلت أما بالأزواد أفرز التوزيع السكاني ما يسمى بالحواضر كتمبكتو وقاو وأروان وخارج هذه الحواضر أسس السكان ما يسمى بالحلة التي هي نظام خاص بإقليم الأزواد.

ويرجع عامل الاستقرار السكاني بتوات والطابع البدوي بالأزواد إلى عنصر الماء باعتباره أداة أساسية في الحياة اليومية سواء في البادية الأزوادية التي يعتمد سكانها على مياه الأمطار والآبار أو في القصور التواتية التي يستفيد سكانها من مياه الفقارة أو الخطارة كل هذا سنتعرض له في الفصل الموالي.

---

[1] الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير، المصدر السابق، ص. 206.

[2] P. POUSSIBET, op. cit.

[3] René Caillié, op. cit., p. 264.